التراث - الأصالة - المعاصرة

في فكر الأستاذ ميشيل عفلق



الدكتور

محمد أحمد السامرائي

الدكتور

عبدالجبار محمود السامرائي

منشورات 2000 الطليعـة

مايجمعنا بالاستاذ ميشيل مبادىء أساسية قد تتغير ظروف تكيفها التاريخية ولكنها تبقى في نفسها مبادىء أساسية للاهتداء بها على طريق العمل العربي المشترك .

ومن هذه المبادىء تقويم موحد بيننا لاهمية الوطن العربي سواء أكان ذلك من الناحية الحضارية ، أو من ناحية الامكانيات المستقبلية ، أو من ناحية الموقع الاستراتيجي العالمي . وهذه الاشياء الثلاثة تضع على عاتق العرب جميعاً مسؤولية ضخمة هي الارتفاع عن عوامل التفرقة ، والتردي الى مستوى المهمة التاريخية الملقاة على عاتق الارادة العربية الفاعلة .

والمبدأ الثاني : هو أنه لا يمكن تحقيق نهوض الاقطار العربية إلا على أساس القدرة على استثمار أمكانياتها الطبيعية ، والانسانية ، والتاريخية ، فلا يمكن في عصرنا الحالي قهر اسباب التخلف ؛ ولا يمكن بالتالي تحقيق الحرية للاقطار العربية إلا في ظل إرادة مشتركة مفتوحة على حقائق العصر ، وعلى ضروراته ، وأيضاً على مشاكله ، وأخطاره في ظل وحدة قومية .

والمبدأ الثالث : هو أن وحدة الاقطار العربية التي هي ضرورة تاريخية بالنسبة للعرب ، والتي تعدّ حدثاً دولياً ، وعاملاً اساسياً حاسماً في السياسة الدولية ، كما أنها تعدّ في الوقت نفسه ركيزة من ركائز السلام العالمي نظراً للموقع الاستراتيجي ، وللقوة ، والطاقات الكامنة في هذه الرقعة من الارض من المحيط الى الخليج ، ذلك لان القومية العربية ليست ولا يمكن أن تكون نعرة عرقية ، ولا إرادة قوى أوسلطة للعدوان والجري وراء العظمة عن طريق المساس بحقوق الغير ، وهذا لامرين :

الامر الاول : هو أن الوحدة القومية للعرب لها عمق روحي يتمثل في المبادىء الحضارية التي جاء بها الاسلام في جوهره ، وهي وحدة ترتكز على الروح أيضاً .

والامر الثاني : أنها وحدة لايمكن أن تنجح إلا على اسس ديمقراطية شعبية تقوم على تنظيم يترجم الديمقراطية في جسم المجتمع لا في المؤسسات السياسية فقط ، فهي ديمقراطية تنفي الهيمنة الاوليغارشية لفريق من العرب كيفما كان على بقية الجماهير العربية سواء أكانت هذه الاوليغارشية تقوم على سلطة المال أو على سلطة السلاح الرامي الى الاخضاع ، أو على تعصب ديني كيفما كان نوعه

إن الذي جمعنا مع الرفيق ميشيل عفلق في إطار هذه المبادىء أيضاً ، هو عمل في عمقه الانساني ، وهو في صياغته العلمية عربي قومي يقوم على بعد تاريخي عميق يمتد الى خمسة أو ستة آلاف سنة من التاريخ المكتوب ، ويتصل حالياً برسالة روحية يحملها الاسلام ، وتمتزج بوسائل العصر العلمية والتكنولوجية أمتزاجاً مطلقاً بدون تحفظ ، ويهدف الى تحسين شروط التعايش بين الشعوب على اساس هذه المعطيات .. ولذلك ، هذا هو المبدأ الاخير الذي جمعنا مع الرفيق ميشيل عفلق أن هذا المشروع الانساني الكبير لا يمكنه أن يتحقق إلا بروح ثورية تمتد الى وسائل التربية والثقافة والنضال من أجل الديمقراطية ، واحترام حقوق الانسان في الديمقراطية في الوقت الحاضر . فهو مشروع يتحقق في مسلسل تمر مهمة تحقيقه حتماً بمرحلة التوعية في النخبة العربية ، والجماهير العربية أيضاً للوصول بهما الى تحديد أفق واضح عن العمل العربي المستقبلي ، وتنظيم جماهيري يرتبط بعضه ببعض في الاقطار العربية لا باسلوب عمودي ، بل باسلوب افقي يقوم على تنمية رصيدنا الثقافي ، وبلورة هويتنا القومية ، ومزج هذه الهوية مزجاً عميقاً بالرصيد العام الحاضر الذي تعدّ مكاسبه التكنولوجية ، والعلمية ، والفلسفية جزءاً أساساً بالنسبة للأمة العربية لاغناء تجربتها التاريخية الكبرى .

لقد ترك المغفور له الرفيق ميشيل عفلق ساحة النضال العربي وهي أحوج ما تكون الى صوته الهادىء المتاني ، والى تفكيره الرزين العميق ، والوعي بالمسؤولية فنتزود منه بالتالي بنفس جديد .

إن مصابنا في الفقيد العربي الكبير الرفيق الفذ ميشيل عفلق لمصاب أليم ، مهما صبرنا ، ومهما كان كرم وسخاء الأمة العربيةمن الرجال .

الاصالة والمعاصرة

في فكر القائد المؤسس

د . محمد احمد السامرائي
كلية الاداب / الجامعة المستنصرية
بغداد 1999

■ مقدمة :

يشكل التراث مكوناً اساسياً « للشخصية العربية الحضارية » كونه يمثل عمق الامة في التاريخ ، واصالتها ، ومستواها الابداعي الذي اغنت به الحضارة الانسانية . وامام موقفين متناقضين من التراث : موقف رافض له كونه « ماضياً » ليبدأ « التغيير » من « الحاضر » . وموقف « مقدس » له منشد اليه بكل مكوناته ، استطاع البعث ان يكوّن موقفاً جديداً متميزاً من التراث من خلال منهجه « العلمي الجدلي التاريخي » ومن هنا جاء الاهتمام الكبير بالتراث مكّوناً اساسياً في فكر البعث . ذلك ان الاهتمام به مسألة جوهرية واساسية يستدعيها بناء حاضر مزدهر ومستقبل يرتكز على اصالة الامة وخصوصيتها .

فالتراث تحرر من كونه « النتاج الفكري » المتبقي من المرحلة السابقة معزولًا عن الحياة العربية ونضال جماهيرها . لانه في نظر البعث « الصلة الحية بالماضي » .

لذا تميز البعث بقدرته الثورية على وضع « التراث العربي » في موقع الثورة والبناء الحضاري والفعل الانساني .

وفي هذا الاتجاه جاءت هذه الدراسة ، لان هذه المرحلة ما زالت « بحاجة » الى تعميق نضالها باعتباره الوسيلة الثورية للابقاء على الصلة الحيّة بين « الاصالة والمعاصرة » والوصول بالامة العربية الى مستوى الابداع الحضاري .

ماهية التراث :

الامة العربية من الامم التي لها « ماضٍ حضاري » اي لها تراث : هو اثمن شيء في حياتها ، فهو داخل في حاضرها ، مؤثر في تربيتها .. في تكوين شخصيتها .. في امالها وتطلعاتها[1] حتى اصبح هذا التراث « سجل عبقرية هذه الامة »[2] . فالتراث في حياة الامة ليس جزءاً من المعرفة او مجرد بعد تاريخي .. بل هو حياة ... فنحن امام التراث كما نحن امام مراحل حياتنا وتطورنا منذ ولادتنا حتى اللحظة الراهنة ، وحتى آخر ومضة في حياتنا في المستقبل . فهو امتداد لشخصيتنا في الماضي كما سيكون المستقبل استطالة لحياتنا الحاضرة[3] . اي ان شخصيتنا لم تولد من عدم وانما هي جزء من هذا التراث ، فتراث اي انسان وتراث اي مجتمع هو اساس شخصيته .

والتراث ايضاً كما عبر عنه انطون مقدسي : « ليس شيئاً قائماً امامنا وليس صنماً نعبده وانما هو ذاكرتنا تنادينا من الاعماق »[4] .

الا ان هناك من يرمي التراث وراءه بدعوى ان التراث عبء يعوق تقدمنا وانطلاقتنا . وانه قيد يقيد سعينا الى الانفتاح الفكري ، وانه تقليد يقف عقبة امام التجديد . بل لقد تعرض التراث من قبل اعداء الامة الى هجوم وتشويه واستهزاء . وعندما اصبح التراث في موقع تحد وكان لابد من الرد على هذا التحدي ... لان تراثنا هو وجودنا وجوهرنا .

اهمية التراث :

للتراث اهمية كبيرة في حياة الامم نظراً لما يشكله من ثقل متميز في هذه الحياة . ولبيان هذه الحقيقة نؤكد المفاهيم الاتية :

١ ـ ان التراث العربي هو « تراث عظيم » نعتز به لا لمجرد الاعتزاز والاعتداد والتفاخر ، ولكن لان وجوده تاكيد لوجودنا ودافع من دوافع الايمان والثقة والنضال والانطلاقة الى افاق الفكر .

٢ ـ ان حاضرنا يتطلب منا نظرة عميقة الى (الذات) والى (العالم) ولابد من نظرة تعيد التوازن الذي اختل في حياة الامة ، وفي علاقتها مع العالم ... التوازن المبدع بين تراثها ومعاناتها الحاضرة ، بين وجودها ورسالتها ... بين نضالها واهدافها الانسانية[5] .

٣ ـ ان التراث العربي بقدر ما هو سند لشعبنا وامتنا في مرحلتها التاريخية الراهنة ، فانه يشكل تحدياً لواقعنا ولاجيالنا في آن واحد .

فالتحدي للواقع يكشف عن « حقيقة الامة » والتحدي للاجيال الجديدة يكشف عن « المستوى » الذي ينبغي ان يرتفع اليه نضالها وسلوكها ووعيها حتى يكون : انتسابها الى التراث شرعياً ، فلا تكون متطفلة وعبئاً عليه[6] .

٤ ـ التراث « حياة وثورة وحضارة » عرفه العرب في الماضي ، وهو البعد التاريخي الذي يشكل جزءاً مكوناً لشخصيتها الفردية والاجتماعية . فالعودة اليه تعني تجديد الصلة بما هو حي منه ، وبما هو فاعل وايجابي ومؤثر في نهضتنا ، وما هو منسجم مع حركة المجتمع وانطلاقة الامة نحو المستقبل[7] .

٥ ـ الامة العربية في عودتها الى تراثها نشعر بانها امة واحدة وان لها رسالة لا يمكن ان ترضى عنها بديلًا . فالتراث العربي وحده يعطي الامة شعوراً بالوحدة كما يعطيها حق الطموح الى حمل رسالة[8] .

٦ ـ التراث يبرّز اهمية الفرد والانسان ، دون التقليل من اهمية الجماعة ومصلحتها وقوتها وتنظيمها ... ولكن الاساس في الجماعة هو الفرد .. الانسان .. الذي له عقل وضمير وسلوك[9] .

٧ ـ ان الاهتمام بالتراث لم يكن من اجل التراث « ذاته » بل من اجل « حداثة » نتطلع اليها ، حداثة نابعة من صميم حياتنا معبرة عن مقومات شخصيتنا[10] . فكما ان التراث جزء من عملية الدفاع عن « الذات » فهو ايضاً يسهم في « اعادة بناء الذات المعاصرة ايضاً »[11] .

كل تلك الحقائق تظهر لنا ان التراث هو الاساس الروحي والكيان المعنوي للأمم والشعوب ، نجده في موقف انساني ـ حضاري للشخصية الانسانية في ذلك العصر .

كما يشكل التراث في اغلب سماته الاساسية الملامح القومية للامة ولشعبها حيث يستدل في اغلب الاحيان على وحدة الامة من خلاله .

اضافة الى ما يمتلكه التراث من عوامل التطور فانه ايضاً يمنح الشعوب الحيوية والنزوع الى دفع المجتمع في طريق التطور والتقدم من خلال اكتشاف حقيقة ذلك التراث ومكوناته .

وسائل الاتصال بالتراث :

يعد النضال والثورة الوسيلة المثلى للوصول الى التراث والتفاعل معه .

فالبعث منذ البدء ارتبط من جهة بالتراث العربي ... ووجد تعبيراته الحديثة في نظرة « هيغل » الجدلية التاريخية وفي استكمال هذه النظرة في « جدلية ماركس » المادية من جهة

اخرى .

هذه المنابع استقى الحزب منها . ولم ينقلها نقلاً ولم يقلدها تقليداً ... وانما استقى ليبني شيئاً جديداً في ضوء الواقع القائم وفي ضوء التطلع الى مستقبل يرنو الى تحقيقه . ومن هذا المنطلق كان البعث متميزاً عن الذين اكتفوا بان يرددوا ما قاله التراث دون ان يصلوا اليه عبر الثورة والنضال .

فنحن : لا نفهم التراث الا عندما نناضل ، ولا نستحقه الا عندما نعمل الثورة العربية ... فالتراث يبقى اصماً وجامداً اذا لم نرتق في نضالنا وبثورتنا . عندها تحل اسرار التراث ويصبح مفهوماً ، ويصبح متفاعلاً مع حياتنا ونصبح مجددين لهذا التراث ومتابعين لقيمه ومعانيه[١٢] .

فالتراث استحقاق .. ومن خلال النضال نرتقي لنبلغه لا ان نقعد وننتظر نزوله الينا .. فلا يعقل ان نطلب من الامة ان ترتفع الى مستوى لا نكون نحن قد بلغناه ، ولا نكون قد برهنا للاخرين بانه قابل البلوغ[١٣] . عندها تتحقق في هذه الامة فكرة « الانقلاب » كونه اليقظة الحقيقية لروح الامة في مرحلة فاصلة من مراحل التاريخ الانساني[١٤] . فبدون « الانقلاب » لا يفهم اي بعث للامة فهو وحده الذي يكون الشخصية العربية من جديد .

والنضال الذي تمارسه الامة في واقعها انما هو هذا « المستقبل » الذي نتطلع اليه لنجعل منه الزمن الذي يجب ان تتحقق فيه روحنا الاصيلة ، المتمثلة في الماضي من الزمن الذي كانت فيه الروح العربية متحققة .

وإذا آمنا ان التراث لا يمكن ان يكون معزولاً عن الحياة العربية ونضال جماهير الامة العربية ، فهو ايضاً هذه الصلة الحية بالماضي التي هي في نظر البعث نضال جديد ... وهذا النضال نرتفع فيه الى مستوى الثورة حتى نستطيع ان نستوعب التراث استيعاباً مبدعاً .

إذن ... النضال هو الوسيلة الحقيقية للابقاء على هذه الصلة المتوازنة بين التراث وبين المعاصره ؛ فالنضال يوثق صلتنا بالماضي ويجعلنا نحتاج الى هذه الصلة . فهي التي تدعمنا في نضالنا ، وتقوينا وتساعدنا على تحديد هويتنا الحضارية[١٥] .

لقد تميز البعث في موقفه من التراث ببعض السمات التي جعلت منه حركة ثورية انفردت عن غيرها بقدرتها على تحقيق الصلة بين التراث والمعاصرة من خلال الثورة والنضال ، فحقق بذلك ولاول مرة في حياة الامة[١٦] :

١ ـ تحرير الفكر العربي من قيود « النظرة السلفية » التي تجعل من « الماضي » قطب الحياة والتطور والتي تخالف قوانين التاريخ والتقدم .

٢ ـ تخليص الفكر العربي من ضياع « النظرة التقدمية التجريدية » التي كانت تفهم « الحداثة » بانها مجرد اقتباس ونقل وتقليد للغرب ، وتتطلع الى مستقبل لا جذور له في الماضي والحاضر .

ان التحرر من هذين الاتجاهين لا يمكن ان يكون الا بعملية انبعاث من الداخل ، اي من خلال « الثورة » كونها الوسيلة الارقى لتحقيق اهداف الامة . « فالمستقبل وصعوبة تحقيقه وبعده الشاسع عن واقعنا » جعلنا نبحث في الماضي عن « الجديد الحي » كما ونبحث في المستقبل عن « الاصيل غير المصطنع » .... لذا كان تصورنا تصوراً جدلياً ديناميكياً يقوم على تفاعل مستمر بين حاضرنا المتخلف والنازع الى الثورة والتجدد ... وبين ماضينا الاصيل الغني العريق ، وبين المستقبل المبدع الذي نرجوه لامتنا[١٧] .

ولتحقيق هذا المستوى من النضال كان البعث يقف بين حدين[١٨] : بين الامة ، وبين الانسان الفرد ، فلكي يمتحن البعث صدق نضاله ومدى تقدمه على الطريق ان يرجع الى الامة بدورها التاريخي بعظمتها بعبقريتها ورسالتها وايضاً بواقعها الراهن .

كذلك البعث مطالب بان يرجع الى الانسان العربي ، الى المناضل العربي لانه الاداة المقدسة لتحقيق اهداف الامة العربية ، وليرى ايضاً الى اي حد تحقق في نمو شخصية الانسان العربي ، الى اي حد اخذت هذه الشخصية حقها من التفتح ، من الحرية ، من المعرفة من الحياة .

العلاقة مع التراث :

يشير فكر القائد المؤسس الى ان العلاقة مع التراث تمر بثلاث مراحل[١٩] :

الاولى : الاطلاع على التراث لاكتشافه وفهمه .

الثانية : الافتراق عن التراث والسير في طريقنا الخاص المميز .

الثالثة : الالتقاء من جديد بالتراث .

فاكتشاف التراث وفهمه يقودنا الى التحرر من النظرة المنغلقة عنه كما يمنحنا القدرة على التحرر من التعصب الاعمى له .

كما ان عملية الافتراق تقودنا الى النضال والثورة من خلال فهم الواقع والعمل على تغييره ، فهو طريق خاص متميز يقودنا الى الاتصال بالفكر الحديث بعيداً عن الاستسلام الاعمى له .

في حين ان الالتقاء مع التراث يتم من خلال وعي المرحلة الجديدة في « عمقها » . فالتغيير لن يحصل لمجرد وجود تناقض بين واقع مرحلة تجاوزتها الظروف ومتطلبات مرحلة يجب ان تاتي

لتحل محلها . بل يجب ان يكون ثمة « وعي » على هذا التناقض تنشأ عنه « ارادة » تغيير و « تنظيم » لقوى التغيير حتى ياخذ مجراه الجدلي .

فالثورة العربية اذا لم تستلهم التراث وتستلهم روح الرسالة ومستوى الرسالة فهي فاشلة . إذ يتطلب وضع مستوى لهذه الثورة « مثلا اعلى قد لا نبلغه ـ بل يصعب جداً بلوغه ـ انما شرط اساس ان نتبناه ليكون سيرنا الى المستقبل بشخصية اصيلة ، شخصية مستندة الى هذا التراث[٢٠] .

فارتباط الثورة بالرسالة يكون من خلال الايمان بها كونها المحرك للجماهير والموحد لها . « ففكرة الرسالة مستمدة من التراث »[٢١] لان الامة اذا امتزجت شخصيتها بهذا التراث الذي هو رسالة عظمى عندها لم تعد تقبل ما هو دون هذا المستوى[٢٢] .

فالربط الجدلي بين التراث والرسالة ينطلق من عدم اعتراف الامة بواقعها السيء ولا تتنازل عن مرتبتها الاصيلة بين الامم ، فهي اذن بصلتها ببعضها وبماضيها لا تزال واحدة ولا تزال فيها الكفاءة لاسترجاع تلك المرتبة التي فقدتها موقتاً[٢٣] .

ومن هنا تأخذ الرسالة معنى « النزوع والاستعداد اكثر من كونها اهدافاً معينة محدودة »[٢٤] . هي « في فهم هذا الحاضر وتلبية ندائه والاستجابة لضروراته »[٢٥] . وبذا فان رسالة العرب الخالدة ليست للمستقبل وانما هي الان في طور التحقيق ، « فهذا الحاضر الذي يحياه العرب الان هو بدء الرسالة الخالدة »[٢٦] . عندها تتجاوز الرسالة مفهومها « حضارة » فهي شيء اعمق واصدق من ذلك ، « إنها تجربة حية ، تجربة اخلاقية ونفسية تقوم بها امة عظيمة وتضع في هذه التجربة كل حياتها[٢٧] .

ان فكرة الرسالة تقود حتماً الى تكوين نظرة الى الماضي وعلاقته بالحاضر والمستقبل . وهنا تبرز ضرورة تكوين معادلة التوازن بين الماضي والحاضر والمستقبل .

اذن كيف يتحقق مثل هذا التوازن ؟

اذا كان من مهمات المنظور الحضاري للامة العربية في مرحلتها الجديدة ان يستوعب هويتها الحضارية واطارها الثقافي وشخصيتها القومية ومشكلاتها الاجتماعية « فلابد ان ياخذ بعين الاعتبار البون الشاسع بين هذه الامة وماضيها وكذلك وبينها وبين حاضر غيرها من الامم ، اذ ان الاستلاب وعوامل الضياع في الحياة العربية من خلال الانحطاط قد بلغت حداً انكرت معه الامة نفسها نتيجة التشويه الطاريء عليها ، فهي لم تعد تعرف ذاتها[٢٨] .

وامام هذه الحقائق برز تحديان كبيران للمنظور الحضاري الانبعاثي : تحدي « التراث » وتحدي « المعاصرة » . فهو لابد ان يجمع بينهما اي بين « الاصالة » وبين روح التجدد الدائمة[٢٩] .

اذن ما الموقف من التراث الذي يجب ان يتخذه المنظور الحضاري الجديد ؟

ينطلق هذا الموقف من حقيقة ان التشكل الاصيل للمنظور الحضاري يكمن في وحدة الابعاد الثلاثة الاساسية للشخصية الحضارية[٣٠] .

١ ـ الصلة الحية بالماضي .

٢ ـ المعاناة الحية للحاضر .

٣ ـ التفاعل الحي مع روح العصر المنطلقة نحو المستقبل .

فبناء شخصية حضارية جديدة تستلزم ان يتوفر في المجتمع شرط التعامل مع الزمن من خلال منطق الحياة نفسه .

« فالتاريخ » يشكل بعداً من ابعاد الشخصية الحضارية ولكنه « التاريخ الحي » اي ما بقي من الماضي من بعد « مستقبلي » . ليشير الى المستقبل بشخصية اصيلة . شخصية مستندة الى هذا التراث الى هذه القيم الكبرى .. القيم الانسانية الاساسية .. فلا يمكن عندها الا ان نكون مبدعين[٣١] .

فكل تفكير في المستقبل لابد ان يستعيد المستقبل بصورة او باخرى المستقبل « الماضي » كحافز او موجه او مُعَبيء . وما لم تتم اعادة ترتيب العلاقة بصورة موضوعية بهذا « المستقبل الماضي » فان التفكير في المستقبل الاتي سيبقى تفكيراً على مستوى « تفكير » الحاسوب : تعطيه معطيات فيردها اليك مرتبة ترتيباً متنوعاً ولكنها لا تتضمن عنصر اللاوعي فيها[٣٢] .

اما المستقبل فيشكل بدوره بعداً اخر من ابعاد الشخصية الحضارية ولكنه المستقبل غير المنفلت من اطاره الحضاري ومن جذوره التاريخية .

والبعد الزمني الثالث هو الحاضر : فهوساحة المعركة الحضارية ، وارض التجربة الجديدة ومهد المعاناة .

فالتجربة الحقيقية للامة هي المعاناة : معاناة التمزق الذي تعيش فيه الامة ... معاناة التخلف ... معاناة البعد عن حقيقة الامة عن استعدادها ... عن طاقات جماهيرها المعطلة ، كل هذه « المعاناة » ترفع الى المزيد من النضال[٣٣] .

فمن خلالها تتحقق في هذا الواقع وحدة « الاصالة والحضارة » . فالارتفاع الى مستوى الحياة المعاصرة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية كافة ، يتطلب من جملة ما يتطلب اعادة بناء الذات نفسها . واعادة بناء الذات لابد ان تنطلق من اعادة بناء التراث ، من اعادة ترتيب العلاقة بينه كشيء ينتمي الى الماضي وبين « الحياة المعاصرة » كشيء ينتمي الى الحاضر والمستقبل[٣٤] .

بهذه العملية الجدلية يتشكل منظور حضاري اصيل وحديث ، وكل خلل في هذه العملية يؤدي الى تشكل ناقص او

مزيف ينتهي الى جمود يعطل تسارع النهضة .

ومع ذلك تبقى اشكالية الاصالة والمعاصرة هي اساساً اشكالية ايديولوجية تعكس نوعاً من التمزق في الوعي اساسه هيمنة الماضي على الحاضر ، وتناقض المستقبل مع الماضي . الا ان المعرفة الصحيحة بالواقع من الشروط الضرورية لتجاوز هذه الاشكالية على صعيد الوعي بوصفه مجالاً يحتله مشروع المستقبل .

إن اشكالية الاصالة والمعاصرة هي اشكالية نهضوية وفكر النهضة يقوم اساساً على الانتظام في تراث من اجل تحقيق قفزة نحو المستقبل[٣٥] .

التراث الروحي :

الاسلام هو التراث الروحي للامة العربية ، كما انه ثورة اخلاقية وفكرية واجتماعية حاسمة في تاريخ البشر . وهو في نظر البعث المحرك للامة وملهمها ومرجعها الروحي ، وهو الحركة الثورية المثلى . ولما كانت النظرة الجديدة الى التراث هي من اهم افكار الحزب ، لذا نجد القائد المؤسس يشير الى مكانة التراث الروحي فيه ، فهو يقول : خلاصة افكاري وضعتها في « ذكرى الرسول العربي »[٣٦] ففي هذا « الخطاب »[٣٧] نجد موقف البعث الايجابي من الدين .

فحركة البعث قامت بشيئين في هذا المجال :

١ ـ اعطت الدين بصورة عامة دوره المشروع في حياة البشر وتاريخهم وتطورهم .

٢ ـ اعطت الاسلام الدين العربي ، الدين الانساني ، المكانة الاساسية في تكوين قوميتنا ، ليس فقط بالنسبة الى الماضي وانما بالنسبة الى كل وقت ، فما دامت الامة العربية على هذه البسيطة ، فالاسلام هو التراث الروحي لها[٣٨] .

عندما اصبحت الحياة القومية عند البعث تشمل كل شيء والعقيدة الدينية داخلة في تكوينها دخولاً حضارياً » . فكانت رداً على تلك « الايديولوجيات التي تفصل العقيدة الدينية عن العقيدة القومية والثورة القومية بكل متطلباتها »[٣٩] .

كما اكد البعث من جانب اخر عدم نفيه للاممية من خلال فهم القومية على ضوء تراث الامة الانساني وتجربتها النضالية ، فكان مفهوماً « اممياً » و « انسانياً » « اممية بمعنى الانفتاح والمشاركة في المثل وفي المصالح وفي طريق الحرية والاشتراكية »[٤٠] .

ومن هذا المنطلق اصبحت النظرة الى القومية نظرة جديدة مستوحاة من روح العصر وحاجات الامة وماضيها الاصيل . فالاسلام كان تجربة رائدة واستعداداً دائماً في حياة الامة . امتلك سماته من عمق هذه التجربة وابعادها في الامة . لذا فان الموقف من هذه التجربة ينطلق من :

١ ـ ان هذه التجربة ليست حادثاً تاريخياً يذكر للعبرة والفخر بل هي استعداد دائم في الامة العربية تمثل فيها حياة الرسول خلاصة لحياة العرب ، هذه الحياة ممثلة للنفس العربية في حقيقتها المطلقة لا يمكن ان تعرف بالذهن بل بالتجربة الحية[٤١] .

٢ ـ ان امة عظيمة حشدت كل قواها فانجبت محمداً ، ما دام هذا الرجل فرداً من افراد الامة التي حشد محمد كل قواه فانجبها ، يصبح لزاماً علينا ان تصبح كل حياة هذه الامة في نهضتها الجديدة تفصيلاً لحياة رجلها العظيم . « كان محمد كل العرب فليكن كل العرب اليوم محمداً »[٤٢] .

٣ ـ كان الاسلام حركة عربية معناه : تجدد العروبة وتكاملها . فالمسلم في ذلك الحين لم يكن سوى العربي ولكن العربي الجديد المتطور المتكامل . وكان المسلم هو العربي الذي آمن بالدين الجديد لانه استجمع الشروط والنضال اللازمة ليفهم ان هذا الدين يمثل وثبة العروبة الى الوحدة والقوة والرقي[٤٣] .

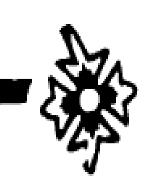
ومن هذا المنطلق تحققت العلاقة العضوية بين العروبة والاسلام ، عندما وضع البعث الاسلام كثورة « اخلاقية وفكرية واجتماعية » حاسمة في تاريخ البشر ، وضعها في صلب القومية العربية . بهذا المعنى لا يوجد عربي غير مسلم ، هذا اذا كان العربي صادق العروبة . فالعروبة تعني الاسلام بهذا المعنى الرفيع الذي لا تعصب فيه ولا تميز[٤٤] .

٤ ـ ان كل امة عظيمة عميقة الاتصال بمعانيها الكونية الازلية ، تنزع في اصل تكوينها الى القيم الخالدة الشاملة . والاسلام خير مفصح عن نزوع الامة العربية الى الخلود والشمول ، فهو اذن في واقعه عربي ، وفي مراميه المثالية انساني . فرسالة الاسلام انما هي خلق انسانية عربية[٤٥] .

خاتمة :

يبقى البعث « الحركة الثورية الاصيلة » التي استطاعت ان تكون موقفاً متميزاً من التراث العربي ، وساعد على ذلك فكره « العلمي والثوري » ومنهجه « الجدلي » وصولاً الى تكوين « معادل » التوازن بين الماضي والحاضر والمستقبل ، الذي صاغ بالنتيجة منظوره الحضاري ليجعل منه حركة « ابداع »[٤٦] عربية في مرحلتنا الراهنة .

فالبعث وضع التراث في قلب الثورة العربية المعاصرة فعتق التراث من صفة الجمود والتجمد ، وكذلك تحريره من الاستسلام للمعاصرة بصيغة النقل والتقليد ، فاعطى بذلك ولاول مرة في تاريخ الامة العربية المعاصر مفهوماً متجدداً وثورياً اصيلاً « للحداثة » .



الهوامش

١ ـ ميشيل عفلق ، البعث والتراث ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٧٦ ، ص ٤٥ .
٢ ـ المصدر نفسه ، ص ٥١ .
٣ ـ حوار مع د . الياس فرح في كتاب : ماجد السامرائي ، الزمن المستعاد ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ٦٧ .
٤ ـ المصدر نفسه ، ص ٣٦ .
٥ ـ د . الياس فرح ، مقدمة في دراسة المجتمع العربي والحضارة العربية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط ٢ ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص ٢٩ .
٦ ـ د . الياس فرح ، في الثقافة والحضارة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ٦١ .
٧ ـ المصدر نفسه ، ص ٦٨ .
٨ ـ ميشيل عفلق ، البعث والتراث ، المصدر السابق ، ص ٨٦ .
٩ ـ المصدر نفسه ، ص ٨٩ .
١٠ ـ د . محمد عابد الجابري ، المسالة الثقافية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، سلسلة الثقافة القومية (٢٥) ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٤ ، ص ٢٥٠ .
١١ ـ المصدر نفسه ، ص ٢٥٢ .
١٢ ـ ميشيل عفلق ، البعث والتراث ، المصدر السابق ، ص ٤٧ .
١٣ ـ ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، دار الطليعة ، ط ٧ ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٨٢ .
١٤ ـ المصدر نفسه ، ص ٨٤ .
١٥ ـ حوار مع الدكتور الياس ، ماجد السامرائي ، المصدر السابق ، ص ٨١ .
١٦ ـ د . الياس فرح ، في الثقافة والحضارة ، المصدر السابق ، ص ١٤ .
١٧ ـ ميشيل عفلق ، البعث والتراث ، المصدر السابق ، ص ٣٦ .
١٨ ـ المصدر نفسه ، ص ٧٥ .
١٩ ـ المصدر نفسه ، ص ٩١ .
٢٠ ـ المصدر نفسه ، ص ٥٣ .
٢١ ـ المصدر نفسه ، ص ١٠٢ .
٢٢ ـ المصدر نفسه ، ص ٥٣ .
٢٣ ـ ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، المصدر السابق ، ص ١٠٢ .
٢٤ ـ المصدر نفسه ، ص ١٠٤ .
٢٥ ـ المصدر نفسه ، ص ١٠٨ .
٢٦ ـ المصدر نفسه ، ص ١٠٩ .
٢٧ ـ المصدر نفسه ، ص ١١٢ .
٢٨ ـ د . الياس فرح ، قراءة منهجية في كتاب « في سبيل البعث » جـ ١ ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ٧٦ .
٢٩ ـ المصدر نفسه ، ص ٧٧ .
٣٠ ـ د . الياس فرح ، مقدمة في دراسة المجتمع العربي ، المصدر السابق ، ص ٢٦ .
٣١ ـ ميشيل عفلق ، البعث والتراث ، المصدر السابق ، ص ٥٤ .
٣٢ ـ د . محمد عابد الجابري ، مسالة الهوية : العروبة والاسلام والغرب ، مركز دراسات الوحدة العربية ، سلسلة الثقافة القومية (٢٧) ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٥ ، ص ٩٣ .
٣٣ ـ حوار مع الدكتور الياس فرح ، ماجد السامرائي ، المصدر السابق ، ص ٨١ .
٣٤ ـ د . محمد عابد الجابري ، المسالة الثقافية ، المصدر السابق ، ص ٢٥٢ .
٣٥ ـ المصدر نفسه ، ص ٢٧٢ .
٣٦ ـ ميشيل عفلق ، البعث والتراث ، المصدر السابق ، ص ٤٦ .
٣٧ ـ « ذكرى الرسول العربي » خطاب القي على مدرج الجامعة السورية في ٥ نيسان عام ١٩٤٣ . يراجع النص في كتاب في سبيل البعث ، للقائد المؤسس ، ط ٧ ، ١٩٧٢ ، ص ١٢٧ .
٣٨ ـ ميشيل عفلق ، البعث والتراث ، المصدر السابق ، ص ٢١ .
٣٩ ـ المصدر نفسه ، ص ٢٢ .
٤٠ ـ المصدر نفسه ، ص ٢٣ .
٤١ ـ ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، المصدر السابق ، ص ١٣٠ .
٤٢ ـ المصدر نفسه ، ص ١٣١ .
٤٣ ـ المصدر نفسه ، ص ١٣٢ .
٤٤ ـ ميشيل عفلق ، البعث والتراث ، المصدر السابق ، ص ٢٨ .
٤٥ ـ ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، المصدر السابق ، ص ١٣٢ .
٤٦ ـ الابداع : هو الاضافة الثورية في قفزة نوعية لما تعطينا اياه الحضارة في اي وقت من اوقاتها .




التراث

في فكر القائد المؤسس

عبد الجبار محمود السامرائي
عضو اتحاد المؤرخين العرب

بغداد 1999

من الوفاء أن نتوقف عند الجوانب المميزة لشخصيته الفذة النادرة ، قائداً ، ومعلماً ، ومناضلاً ، ومفكراً ، وقدوة في السلوك الثوري الحقيقي ، وفي التجسيد الحي للمبادىء ، وللقيم الخلقية ، وللمستوى التاريخي في التعامل مع الحياة .

الرئيس القائد
صدام حسين

حظي التراث بأهمية خاصة في فكر القائد المؤسس احمد ميشيل عفلق (رحمه الله) . لانه احد ابرز أدوات الوعي القومي ، المعبر عن انتماء الامة الحضاري ، والشاهد على حيويتها واصالتها ، كأمة اسهمت في صنع التاريخ ، ولأنه يعد اداة حفز إجتماعي يمد الامة بمقومات الاعتزاز بالذات ، ويعزز ثقتها بنفسها وصلتها بمبادئها ، ويثير فيها الشعور بالمسؤولية التاريخية ، وهو قادر على ان يلهمها روح النهضة ويفتح امامها افاق التجدد .

ولان التراث اداة نهضة ، فهو رسالة تعيش في الحاضر وتخاطب المستقبل ، وتتواصل معه من خلال قدرتها على تحديد حجم الانجاز الحضاري ، وبالتالي تحديد حجم الاضافة الحضارية المطلوبة من الاجيال القادمة .

لذلك ، اولى القائد المؤسس التراث اهتمامه الخاص ، فتناوله في ادبياته العديدة ، بما يشكل اضافة نوعية للفكر المعاصر . (يعد الحفاظ على التراث ، وابراز وجهه المشرق ، والرد على محاولات تشويهه ، جزءاً من المهمات الوطنية والقومية)[1] .

لقد حدد القائد المؤسس علاقة البعث بالتراث من خلال مراحل ثلاث :

١ ـ المرحلة الاولى :

(مرحلة الاطلاع على التراث لاكتشافه وفهمه)[2] اي ان الاطلاع على تراثنا العربي يجب ان ينطلق من الوعي بمكونات هذا التراث ، كظاهرة فكرية ، تمثل الخلفية الحضارية الممتدة لامتنا في الماضي ، والتي ما زالت عناصرها الكثيرة سارية ممتدة ، بل وفعالة ومؤثرة في حياتنا الراهنة.

إن الوعي بمكونات تراثنا (بوصفها كياناً حياً متفاعلاً ونامياً) هو الشرط الاول لتحديد موقفنا من صفحاته ومدارسه واتجاهاته ، وهو الامر الذي لابد ان يسبق اية عملية اختيار وتفضيل في مجال إحياء هذا التراث .. بل ان مثلنا في هذا التراث كمثل الانسان مع القوانين الطبيعية التي تحكم هذا الكون وتسيطر فيه .

إن اية امة لا تستطيع ان تسير الى الامام بقدم راسخة وثابتة وشجاعة الا اذا وعت جذورها في تراثها ، وربطت خيوط حاضرها ومستقبلها بما ماثلها وشابهها في صفحات ماضيها ، القريب منه والبعيد .

بعبارة اخرى : ان عودة مياه الجداول والانهار كي تصب في احضان البحر العظيم ، فضلاً عن كونها ضرورة طبيعية ، هي نوع من الوفاء لهذا المنبع الذي كانت منه عمليات التبخر الاولى ، قبل ان تتحول سحباً تسوقها الرياح الى قمم الجبال ، فتسقط امطاراً تصنع مياه هذه الجداول والانهار[3] .

إذن ، الغاية من اكتشاف التراث هي : فهم التراث بأسلوب غير تراثي (اي اننا اكتشفنا التراث ولم نستلمه بالتقليد)[4] ، كما يقول القائد المؤسس ، الذي يضيف : (اكتشفنا وجوده وضرورته اولاً ، واكتشفنا قيمته الذاتية ، ومعناه ، وطبيعته ، واتجاهه ثانياً . نبهتنا الى وجوده النظريات ، والحركات التي حاربته او التي حاولت تجاهله ، والتي تعاملت مع الشعب على اساس هذه المحاربة وهذا التجاهل ، ففشلت في ان تجد لدعوتها اي صدى عميق . واين اكتشفنا التراث في البدء ؟ لم نرجع الى الكتب .. بل نظرنا فيما حولنا وفي انفسنا ، ووجدنا ان تراثنا حي في نفوس الشعب ، بالرغم مما طرأ عليه من جمود وصدأ وتشويه .

وهذا ما حدا بنا الى ان نقرأ التراث قراءة جديدة . نقرؤه من خلال محاربة البعض وتجاهلهم وافترائهم عليه ، نقرؤه من خلال المفارقة الكبيرة القائمة بين هزال حاضرنا وعظمة ماضينا ، ونقرؤه ، بشكل خاص ، من خلال التعلق العميق والحنين الذي يخالج نفوس الجماهير الشعبية البسيطة الطيبة والتي تختلط في نفوسها ذكريات الماضي المجيد بأحلام المستقبل المنشود)[5] .

ولكن ، ليس المطلوب منا ان نعود بحياتنا وفكرنا الى قوالب العصور التي انتج فيها هذا التراث ، بقيمها ، ونظمها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، التي وقف عندها عقل اسلافنا الذين انتجوا هذا التراث . وليس معنى ذلك ايضاً ، ان نعود بهذا الماضي القهقرى ، فنستبدل به الحاضر الذي نعايشه والمستقبل الذي نأمله فلا العودة الى الماضي ، ولا العودة بالماضي ـ كما يريد السلفيون ـ هدف النهضويين ، الذين يريدون من التراث ان يكون المشرق منه جسراً نحو التطور والانطلاق الى امام .

اما الدعوة الى العودة الى الماضي ، او العودة بالماضي ، فهي امال الذين لا يؤمنون بالتطور والتقدم ، وامال الذين يعيشون الواقع باجسامهم ، ويعيشون الماضي بعقولهم ، ولا يؤمنون بمعايير الحاضر والمستقبل : (إذن ، انطلقنا من الحاضر ، الى الماضي والمستقبل في آنٍ واحد ، انطلقنا من الواقع الحي بنظرة حية عضوية . الواقع العربي الحي ، اي الحاضر ، هو الاصل والاساس والمنبع والمنطلق . والتراث جزء اساس من هذا الواقع الحي ، من هذا الحاضر ، بل هو متداخل في كل شيء فيه ، كالروح في الجسد ، تارة بشكل ايجابي ، وتارة بشكل سلبي . والذي لفت انتباهنا بشكل صارخ هو التجاهل ، اكثر من المحاربة .. فالمحاربة قد تكون ظالمة وهدامة .

ولكن التجاهل فيه تزوير كبير ، خاصة عندما يتم باسم القومية والحرص عليها . تلك كانت القومية المجردة ..)[6] .

ان هذه النظرة العلمية يرفضها المستعمرون والامبرياليون لانهم يريدون لنا التقوقع على وفق قياسات الماضي التي فقدت مرتكزاتها في هذا العصر . يريدون لنا ان نكون هامشيين نعيش خارج اطار العصر نعيش حالة الانبهار بالماضي ولا نتطلع الى الحاضر والمستقبل بعيون مفتوحة ، وعقول متفتحة ، لان ما يريده هؤلاء البغاة ان نقف على الاطلال الجامدة ، ونحيد عن الوقوف قبالة الينابيع الايجابية . وفي هذا يقول القائد المؤسس : (محاربة رجال الاستعمار وادواته للتراث العربي ، كانت وحدها كافية للتنبيه الى القوة الايجابية الكامنة في هذا التراث والتي يخشاها الاستعمار ، ويعمل على اضعافها وقتلها لكي يسهل عليه حكم الشعب العربي الى امد طويل . كان الاستعمار يصادق ويشجع نوعاً معيناً من التراثيين ، النوع الذي يقتصر على تعلق حرفي جامد ببعض نواحي التراث . ولا يعترف باي صلة بين

التراث والحاضر العربي بكل مشاكله وتطلعاته ، بل على العكس ، يرضى بأن نسخر التراث حسب رغبة الاستعمار ، لطمس المشاكل القومية ، ولقمع محاولات التحرر والانعتاق . وفي احسن الحالات كان التراث يستخدم كمذكر بالامجاد السالفة ـ وكحافز للنهوض ، ولكن بأسلوب التغني والترنم والهيجان العاطفي الذي يعقبه في الغالب شعور بالعجز امام مشاكل الحاضر ..)[٧] .

ومن إضافات الرفيق القائد صدام حسين (حفظه الله ورعاه) : ان (الاستعمار ليس ضد العودة الى التراث ، بمعنى الرجوع اليه .. وانما هو مع هذا .. هو مع الرجوع الى التراث .. اي مع نقله .. نقل شكله بدون روح ، لانه يقتل الابداع .. عملية تعامل الانسان مع الحال على هذه الكيفية تقتل الابداع ، وتقتل فهم روح التراث . وهذا يسهل مهمة الاستعمار)[٨] .

إذن ، فالامبرياليون والمستعمرون انما يهدفون من وراء « الاقتحام الذهني والنفسي » للانسان العربي : إبقاء القديم على قدمه ، وتكريس المنطق الشكلي السيىء الذكر : (ليس في الامكان ابدع مما كان) ، وهو منطق العاجزين والمتخلفين ، واصحاب الافق الضيق وقصر النظر .

إذن ، كان الاستعمار ولا يزال ، بالضد من عودة العرب الى فهم روح التراث من موقع قيادي ، مثلما هو بالضد من مواكبتهم الحياة العصرية ، فهو لا يريد لهم غير التعايش مع اساليب الماضي ، والانسلاخ عن الحاضر وعدم التفكير في المستقبل .

وعن هذه الرغبة الاستعمارية الانانية يقول القائد المؤسس : (إذن ، كانت هناك صورة مشوهة للتراث ، ومفهوم جامد يسخر دائماً للتحذير والتضليل ، وبعض الاحيان لضرب محاولات التحرر ، هذا اولًا ، وثانياً : محاربة منهجية للتراث في الثقافة الاستعمارية المفروضة على البلاد العربية ، ثالثاً : محاربة باسم التقدمية والاشتراكية ، بمنظار اممي مجرد[٩] .

والمعروف ان الاممية لا تعرف الوطن والامة . (والاممي : من لا وطن له ، والاممية كالشعوبية هدفها هدم شخصية الامة)[١٠] .

لقد حدد القائد المؤسس إطار النظرة البعثية الجديدة الى التراث وهي نظرة كلية ، شاملة ، ونظرة جديدة وحية الى الواقع العربي يتضح اثرها في قوله :

(وكان لابد لهذه النظرة الجديدة ان تستكشف عمق رسوخ وتاصل التراث في حياة جماهير شعبنا العربي وسعة إنبثاثه في مختلف نواحي هذه الحياة ، وان اي محاولة للنهضة لا تاخذ هذه الحقيقة بعين الاعتبار محكوم عليها بالفشل ، وان اي انطلاقة نحو التقدم ونحو المستقبل يجب ان تبدأ بالاعتراف بشخصية الشعب وهويته الحضارية ، وبإخراج هذه الشخصية والهوية من حالة نصف الوعي والتشتت والتردد الى حالة الوعي الكامل والوضوح التام والوحدة والانسجام والارادة والتصميم . نحن نقلنا الموقف من موقع دفاعي الى موقع هجومي . ومن موقف فيه دفاع عن النفس ودفع للتهم امام الحضارة الحديثة ، الى موقف الثقة بالنفس والاصالة والهجوم . الانطلاق نحو التقدم من موقع الاصالة والشخصية الاصيلة ، اي لا تقدم بدون اصالة ، اي بدون تراث . فما كان يعتبر عائقاً وعقبة ، بدا لنا انه هو القوة والمحرك)[١١] .

والاصالة : تعني التمسك بالاصول ، ولكنها في نظر البعث يجب ان تقترن بالتجديد والانفتاح ، اي بين الماضي في صورته المشرقة ، وبين الحضارة المعاصرة في وجوهها الثقافية المتعددة التي ينبغي ان لا تنأى بصورة المجتمع العربي وتنحدر به الى مهاوي التغريب .. (ان الاصالة تحمل معنى الثبات والديمومة في الوقت الذي تفيد فيه الاستمرار والصيرورة ايضاً ، ومن ثم كانت الاصالة ذات حظ من التجديد والتفتح ، ومن القدرة على الابداع ، بل ان الشيء الفكري او الفني عند مختلف الامم لا يوصف بالاصالة الا اذا كان ذا سمات جديدة تميزه عن سواه ، اي تجعله ذا شخصية محددة مفارقة جديدة في آنٍ معاً)[١٢] .

لقد تمثل البعث ، اصالة هذه الامة ، تمثلًا حياً ، بل كان وجوده تعبيراً عن هذه الاصالة . فلم يلجا الى التراث العربي لاجل التقليد او التكرار ، وانما لاجل وعي هذا التراث والاستفادة منه في مواجهة الواقع وبناء المستقبل .

وفي هذا الصدد يقول القائد المؤسس : (نظرنا الى التراث عبر نظرتنا الى العصر وحضارته الى العصر ، ومقومات قوته ، وعبر نظرتنا الى واقعنا المتخلف ، فكانت نظرة جديدة ، اي اننا لم نطلب من التراث ان يكون بديلًا عن الجهد الذي يطلب منا ان نقدمه ، وإنما نحن عشنا الثورة المعاصرة ، بكل متطلباتها ومن خلالها وجدنا ان تراثنا يعطينا اصالة لا يمكن لاية ثورة ، واية نظرية فلسفية معاصرة ان تهبنا اياها .

هذا الفهم للتراث هو الذي جعل الحزب يستمد منه قوة روحية واخلاقية لا تستند اليها بقية الحركات)[١٣] .

فالاصالة عند البعث ـ كما اشرنا لا تعني العودة الى الماضي بشكل مجرد وتبعي ، بل تعني وعي هذا الماضي بالاطلاع عليه ، اي باكتشافه ، واستيعاب حضارة العصر بالتفاعل معها ، وتجاوز الواقع المجزأ المتخلف المستعمر ، بالثورة عليه . إنها وعي للعلاقة الجدلية بين الماضي والحاضر والمستقبل . فالحاضر (لا ينفصل عن الماضي كما انه لا ينفصل عن المستقبل)[١٤] .

فالبعث ـ إذن ـ لا يفهم التراث على انه اطلال تزار وترثى ، او يتغزل بها ، بل فهمه على انه (تعبير عن اصالة الامة وتجددها ، وهو الذي يمنحها شعوراً بوحدتها ، وطموحاً نحو تجديد رسالتها ، ويعزز صمودها ، ويعطي للنهضة العربية

مستواها العالمي)[15] .

إن الاصالة ـ إذن ـ هي عدم الانغلاق ، وانما الانفتاح على حضارات العالم لا على القشور ، فناخذ ما ينسجم وثقافتنا وبيئتنا ، ونرفض ما يتعارض مع هذه الثقافة وهذه البيئة . ولم يخطىء المهاتما غاندي الذي يلقب بـ « روح الهند » حين قال : (ان الاصالة هي ان نفتح جميع نوافذنا على الحضارات المختلفة ، وناخذ منها ما هو جديد ومفيد ، على ان لا تقتلعنا من جذورنا) .

ولهذا ، فإن الاصالة لا تعني ربط الماضي بالحاضر ربطاً الياً قابلاً للانفصام ، بل تعني صلاحية الماضي للاستمرار في تفاعله مع الحاضر ، وما ينجم عن هذا التفاعل مع تجدد في الاشكال الثقافية بعامة .

وعند البحث عز الاصالة ، فإنه يجب البحث عن ميادين الابداع والابتكار في ثقافتنا القومية ، جنباً الى جنب مع قدرتنا على تمثل الثقافات الاخرى ، وإعطائها صبغة قومية بارزة .

نعم ، إن الاصالة هي في جانب منها تراث ، ولكنه تراث يتجدد مع كل جيل ، فالجديد هو ما يبتكره او يخلقه جيل معين ، فيكون إضافة نوعية الى الماضي ، وتطويراً له ، وإتساقاً معه . من هذا المنطلق نقول إن (الاصالة تعني : التجديد من منطلق تراثي حي متراكم ، لا يتوقف عن الحركة)[16] .

وفي دائرة مثل هذا الوعي يكون التراث دافعاً ومحركاً وموعزاً ، وفي ضوء معطياته التي تتلاقح في صلة رحمية مع معطيات العصر الجديد ، ومع قيمه باتجاه اهدافه المركزية ، تتفتح الطاقة الجديدة للعصر ، الطاقة الطبيعية التي لا تسير بالحاضر باتجاه الماضي فتدمجه في بيئته ، وتخضعه لمناخه ، إنما تتجه به نحو المستقبل ، في وقت يظل فيه هذا (الماضي) في الاعماق من حركة (الحاضر ـ المستقبل) : جوهرياً روحياً ، ومصيراً فكرياً وحضارياً .

ان التراث شيء قائم فينا ، وهو ذاتنا التي تنادينا من وراء العصور ، وان العودة الفعلية اليه بقصد الاكتشاف او المعرفة والتعرف ـ كما نص على ذلك القائد المؤسس ـ ينبغي ان تكون طريقاً لتنميته ، والامتداد في المستقبل بقيم متطورة عنه ، مستلهمة رؤاه ، مستمدة حوافزها من كثير من حقائقه ، مضافة الى حقائق عصرنا[17] وهي حقائق لا يجوز لنا ان نقفز فوقها ونغمض عيوننا عن وجودها الراسخ .

٢ ـ المرحلة الثانية :

مرحلة الافتراق عن التراث (بحيث نسير في طريقنا الخاص ، طريقنا المتميز ، الذي هو قدرنا ، بعد تاثرنا بهذه الرؤية)[18] .

والافتراق عن التراث ـ الذي يعنيه القائد المؤسس ـ يقصد به الانفصال عن الموروث الذي استنفد ولم يعد يختزن اية طاقة على الاجابة عن اية مشكلة عميقة نجابهها اليوم ، بمعنى اخر . الانفصال عن الرماد ، لا عن اللهب .

فإذا علمنا ان الاتصال بالتراث يعني الارتباط الصميم به ، بما فيه من حقائق اساسية تعكس صورة واضحة للعقلية العربية ، بمداها الحضاري وعمقها الانساني ، وهي في اوج تفتحها وإبداعها ، فإن الافتراق عن التراث يعني « الانفصال » عنه ...

والانفصال عن التراث الذي يقصده القائد المؤسس ، هو عدم الغرق في « ماضويته » انما الامتداد بشرارته ، والتأسيس في المستقبل من الوعي بالحاضر . بمعنى اخر : ان « البعث » في هذا الموقف ، يفسر الماضي بروح الحاضر ورؤيا المستقبل .

والانفصال عن التراث في نظر القائد المؤسس ، هو ان يكون بالوعي والفكر ، لاننا نعيش في عصر تتحدد للانسان فيه اهداف اخرى غير اهداف الانسان في الماضي . كما ان « انساننا الجديد » يتبنى قيماً اكثر تطوراً ، واشد صلة بآفاق الحياة الجديدة .

ولا يغرب عن البال ان « البعث » حركة فكرية ، سياسية ، تاريخية ، جاءت في وقت كانت فيه الجماهير العربية ما تزال تعيش ، في فكرها وفي ممارستها ، حالة من الركود والانسحاب الى الماضي ضمن جو من الحياة يسوده التحمس ، لكنه غير نهضوي ، فجاء « البعث » بفكره وطروحاته ، ليواجه المشكلة الحقيقية ، مشكلة الامة المجزأة ، والشعب المعطل عن اداء دوره ، والواقع الثقافي غير النهضوي الذي تعيشه الامة ، رابطاً ذلك كله بحركة الجماهير ، فكان حركة ابداع فعلي في الواقع العربي ، اذ خلق عالماً جديداً ، النهضة غايته الاساس ، وكان إبداعه قد تجلى ، اكثر ما تجلى ، في عمله على إطلاق طاقات الانسان العربي بعد تحريرها من كثير من العقد والاوهام المتحكمة فيها ، وفي عكسه اغوار الحياة العربية ، في جوهرها الحقيقي ، بكل ما في هذا الجوهر من غنى ينبغي ان يتفجر ليصب في مساربه الحقيقية نحو نهر الحياة العربية الجديدة[19] .

واذا كان (الحاضر لا ينفصل عن الماضي كما يقرر القائد المؤسس ، فلابد من (الفصل) نظرياً بين ثلاث لحظات جوهرية :

أ ـ تقرير التراث بوصفه حقيقة سابقة ومستقلة عن ذاتي كفرد .

ب ـ تقرير ذاتيتي الحاضرة والتي لا استطيع بغيرها تقرير وفهم وتحديد دور ومعنى وموضوعية التراث .

جـ ـ معاناة الحاضر ومكابدته وفقاً لطريقتي الشخصية في رؤية جماع تجربة التراث الكلية ، لاكتشف مكاني منه ، ومعنى حياتي فيه[20] .

إذن ، فالافتراق عن التراث الذي يقول به القائد المؤسس ، يعني الانفصال عن إطاره القديم ، إطار القيم والمفاهيم والعلاقات التي سادت العصور السالفة . او بعبارة اخرى : الافتراق عن الاطر المسبقة ، وعدم تعليق شخصيتنا العربية المعاصرة على مشجب تلك الاطر وتلك الاجواء والمناخات الجامدة التي لم تعد تتلاءم وهذه اللحظة التاريخية التي نعيشها .

ومن اضافات السيد الرئيس القائد صدام حسين حيال هذه النقطة بالذات ، قوله : (... مثل هذا المنهج لابد ان يحارب ، سواء عن وعي او بدون وعي ، فلابد ان ننقد الناس الذين عن وعي او بدون وعي ، الذين استخرجوا قوانين تفرض حالة الجمود على العقلية العربية ، وعلى العقلية التونسية والجزائرية والمغربية والمصرية والسورية ، وفي كل مكان . ولذلك ، نحن نريد ان نخرج بمنطلقات تحرك الدور الابداعي للانسان ، ولا نريد ان نخرج بقوانين مقيدة ، لان القوانين ـ في كل الاحوال ـ حتى عندما تكون متقدمة ، هي الحالة المتقدمة مع الحال الذي خرجت عنه ، والتي تشكل حالة إبنة ذلك الواقع ، فهي بعد فترة من الزمن تصبح حالة الماضي .. وما لم تغير وتحرك دوماً ، تصبح حالة مقيدة للانسان في نشاطاته . وفي دوره القيادي في المجتمع[21] .

إذن ، فنحن بافتراقنا عن التراث ، الذي فقد مرتكزاته ومبررات وجوده في الحياة المعاصرة انما ننطلق من (نظرة قائمة على الايمان بحقيقة كون الانسان حركة مستمرة ، وان هذه الحركة تعني التجاوز الدائم لما انجز الانسان بالامس ، اي اكتساب اللهب ، او الشرارة من الامس ، لايقاد شعلة الحاضر التي نضيء بها طريق المستقبل)[22] .

كما ان الافتراق عن التراث ، يعني عدم التعقب والاستنساخ التقليدي ، فالتعقب هو السير على خطى الاخرين ، وهو هنا السير على نهجهم السالف ، اي اتخاذ الحلول التي اتخذوها لمشكلات تبدو متشابهة .

ان التعقب والاستنساخ من التراث يعني عدم الافتراق عن حيثياته في شكلها الماضي ، وهو دليل على العجز ، وعدم القدرة على الابداع ، ثم انهما بعيدان عن النظرة العلمية والنهضوية ، فنحن نلاحظ ان هناك مشاكل وظروفاً قد تكون متقاربة ، لكنها ليست متشابهة ، سواء بين زمن وزمن ، او بين مكان ومكان . ان النظرة السطحية الى الاشياء هي التي توحي بالتطابق او التشابه التام ، بينما النظرة المتعمقة تظهر الفوارق جلية .

لذلك ، فإن التعقب والاستنساخ لا يحلان المشاكل ، بل يعقدانها ، اذ يدخلان عليها عناصر غريبة عن حلها . كذلك ، فانهما يغلقان مصاريع العقل ويحولان دون الابداع واعمال الفكر الخلاق . لذلك ، فإن الحل ينبغي ان ينبثق من الخصوصية الزمانية ، اي ان لا تستخدم حلول الماضي لمشاكل اليوم .

واما الخصوصية المكانية فهي الا تستخدم حلول الاخرين لمشكلاتنا . الا ان ذلك لا يمنع من دراسة تجارب الاخرين والاستفادة منها ، دون تعقبها واستنساخها[23] .

وفي هذا الفهم للافتراق عن التراث ، اي حالة رفض التعقب والاستنساخ يقول السيد الرئيس القائد صدام حسين : (النقل يقتل روحنا ، والرفض يقتل وسائلنا في الاقتدار المطلوب ، وهو الفهم ، والتفاعل ، والتكيف ، ومن ثم الابداع لحالات ليست تماماً كحالات ووسائل الاخرين ، وانما كحالات وسائل مرتبطة بمواقعنا ، وهذه المرحلة التي تكون فيها الامة العربية في الحالة المتقدمة من التطور فنحن لا ننسخ الماضي . ولا نستنسخ عن الماضي ، وانما نستلهم روحه بصيغة جديدة من التطور ، يعبر حزبنا ـ حزب البعث العربي الاشتراكي ـ عنها تعبيراً صميمياً واصيلًا ومقتدراً)[24] .

٣ ـ المرحلة الثالثة :

مرحلة (الالتقاء من جديد بالتراث بعد ان نكون قد ادينا قسطنا من النضال ، واصبحنا ثوريين حقيقيين ومناضلين مجاهدين ، وبالتالي قادرين على فهمه فهماً حقيقياً ، فكلما تقدمنا خطوة على طريق النضال يزداد فهمنا الحي له ، وهذا يعني ان فهم التراث مرتبط بالخطوات النضالية ، والخطوات الجادة على طريق بناء المجتمع الجديد)[25] كما يقول القائد المؤسس : وفي البدء لابد لنا من ان نقف على مفهوم (النضال) من وجهة نظر « البعث » .

فالنضال هو : الجهد المصحوب بالتضحية الذي تبذله امة أو شريحة اجتماعية او حزب او فرد لتحقيق هدف او اهداف اجتماعية عامة . ومعنى ذلك : ان سعي الافراد لتحقيق منافع شخصية ، وان اقترن بالجهد والتضحية ، ليس نضالًا بالمعنى المتعارف عليه للكلمة .

فكلمة (نضال) ـ إذن ـ ذات مضمون اجتماعي محدد ، سواء لمصلحة الامة ام لمصلحة شريحة منها ، وسواء ما كان يمارسه فرد بذاته ام مجموعة افراد ، وان كان مستحيلًا على الفرد الواحد ان يحقق هدفاً ذا بعد اجتماعي دون ان يتعاون الاخرون معه بهذه الصيغة او تلك .. والنضال القومي العربي هو نوع من النضال الشامل الذي يتضمن جملة اهداف ينتظمها سياق واحد ، من بينها : النضال التحرري الذي يتجسد في سعي الشعب العربي للتخلص من الاستعمار بشكليه القديم والجديد ، وتحرير الثروة العربية من براثن الاحتكارات الاجنبية ، ثم التحرر من الغزو الثقافي الذي رافق الاستعمار العسكري والسياسي والذي عمل على تكريس التجزئة في الذات العربية ، واستلاب ثقة المواطن العربي بنفسه ، وتشويه تاريخه وتراثه الحضاري ، واشاعة

الافكار الاقليمية والطائفية والعشائرية والعرقية وزعزعة ثقة المواطن بنفسه ، وبقدرات امته ، وجعله مقلداً تقليداً اعمى للثقافات الاخرى ونماذجها الاجتماعية[٢٦] .

يقول القائد المؤسس في هذا المعنى : (التراث واقع حي على الشعب ان يكتشفه من خلال معاناته الحاضر ، ومن خلال نضاله الصابق ضد الاستعمار الاجنبي ، والظلم الداخلي ، والتجزئة والتخلف . التراث لم يعد شيئاً حدث في الماضي ، وانما هو طاقة قابلة للتجدد . ولم يعد مادة للتغني والتفاخر ، بل سلوكاً واتجاهاً يجب ان ينبعثا من حياة العرب الحديثة ، من خلال النضال ، فالنضال : هو المدخل الى فهم التراث ، والضمانة لصحة هذا الفهم ، والمدى الذي يعين عمق هذا الفهم . فكلما تعمق النضال في الحاضر ، تعمق فهمنا لتراثنا . وهذا يعني ان التراث كان ايضاً في الماضي نضالاً .

النظرة الى التراث من الداخل توصل الى فهم التراث ، كنتيجة لاختمار طويل وعميق للاستعدادات ، والمؤهلات الفكرية والاخلاقية والانسانية في حياة العرب القدماء ، وانه بالتالي لم يكن غريباً عن حياتهم وطبيعتهم وامكاناتهم ، وانه استعداد دائم قابل لان يتجدد بنسبة ادراك العرب لطبيعة تراثهم النضالية والاخلاقية والانسانية ، وبنسبة ما يحققون من نضال في الحاضر في هذه المجالات كلها)[٢٧] .

ويضيف القائد المؤسس الى ذلك قوله :

(اننا خالفنا الذين يكتفون بأن يرددوا ما قاله التراث دون ان يصلوا الى التراث عبر الثورة والنضال . فالتراث الروحي المميز لامتنا لا نفهمه الا كثوريين مناضلين ، نصل اليه بعد ان نقطع اشواطاً في مسيرتنا النضالية ، وهذا في رأينا هو التصور السليم)[٢٨] .

لقد اكد القائد المؤسس ان التراث يصبح غير مفهوم لنا اذا لم نكن مناضلين نهضويين ، ونصبح لا نستأهل هذا التراث اذا لم نحقق النهضة العربية . قال : (التراث يبقى اصم وجامداً ، وبلا معنى ، اذا لم نرتق في نضالنا ، وبثورتنا ، ونتجدد ، ونقطع المراحل النضالية والثورية التي لابد منها لنهوض اي شعب . عندما تحل اسرار التراث ويصبح مفهوماً ، ويصبح متفاعلاً مع حياتنا ، ونصبح مجددين لهذا التراث ومتابعين لقيمه ومعانيه)[٢٩] . (ان الامة العربية لا يمكن ان تنشيء مستقبلاً جديراً بها ، مستقبلاً في مستوى عظمتها ، اذا لم ترجع الى تراثها ، واذا لم تكتشف عن طريق النضال والثورة ، الجديد والخالد في هذا التراث)[٣٠] وحين يؤكد القائد المؤسس اهمية الالتقاء بالتراث من جديد ، بعد ان يؤدي المناضل البعثي قسطه من النضال في إطار المؤسسة النضالية المتكاملة (البعث) فانما يعني :

أ ـ دراسة ما كتب عن المجتمع العربي في النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، بما يهيىء لهذا المناضل البعثي خلفية جيدة في فهم حركة الحياة .

ب ـ قراءة الشخصيات البارزة التي اسهمت في صنع التراث والتاريخ القديم والحديث ، وساهمت ادوارها الريادية في تكوين الشخصية القيادية الجديدة ضمن المرحلة الحالية ، والتي ستعكس قدراتها النضالية على المجتمع لمرحلة تاريخية لاحقة .

جـ ـ دراسة الفكر دراسة عميقة ، بحيث يصبح البعثي ـ بتقادم الزمن ـ مصدراً مشعاً في الفكر وفي السلوك ، ضمن الوسط الجماهيري .

د ـ استلهام تراث الامة وتاريخها ، القديم والحديث ، واستخلاص العبر منه ، وتوظيف هذه العبر والدروس في طريق بعث الامة من جديد ، وبناء امجادها وخلق انسانها الجديد[٣١] .

ان الاهتمام بهذا التراث ، بعد الالتقاء به ، لا يعني مجرد التغني بالامجاد الماضية ، او إجترار الذكريات السالفة ، وانما يعني البحث عن الجذور الحقيقية للشخصية العربية ، واستعادة الامة ثقتها بنفسها وامجادها وتجديد قدراتها على البناء والتطور الحضاري حتى تسير بخطى ثابتة على ارض صلبة مستندة الى رصيد حضاري ضخم .

كما ان الالتقاء بالتراث من جديد لا يعني التقوقع والانعزال عن التطورات العلمية والحضارية في عالم اليوم ، فالتراث نفسه يعطينا المثل الواضح ، فالعرب عندما بنوا حضارتهم لم ينعزلوا ، وإنما انتفعوا بكل ما كان قائماً في ذلك الزمان من علوم ومعارف على اختلاف انواعها .

لذا ، فان الالتقاء بالتراث من جديد يجدد التراث نفسه بصيغة مستمرة عن طريق مواكبته لروح العصر ، والاستفادة منه الى اقصى حد من كل الوسائل والاساليب الحديثة التي تفيد في تنميته وتطويره ، وكل ذلك ، بما لا يتعارض مع مقوماته الاساسية[٣٢] .

يقول القائد المؤسس : (والثورة العربية التي لا تستلهم هذا التراث ، مقضي عليها بالفشل ، لان هذه الامة ، امتزجت شخصيتها ... وكل ذرة من ذرات كيانها النفسي بهذا التراث الذي هو رسالة عظمى ، فلم تعد تقبل ما هو دون هذا المستوى . فالثورة العربية اذا لم تستلهم التراث ، وتستلهم روح الرسالة ومستوى الرسالة فهي رسالة فاشلة ...

ان فهمنا الذي تميز الحزب به هو اننا نرجع الى التراث من خلال الحاضر ، وهكذا نبني المستقبل المبدع ، المستقبل الاصيل ، لا نذهب الى التراث لينتشلنا من جمودنا .. نتحرك ونثور ونناضل ونفهم العصر الحديث ، والحضارة الحديثة ، ونبذل كل جهودنا وطاقاتنا للتحرر وعندها يبدو لنا التراث بانه شيء خالد .

وشيء اصيل ، وانه هو المستقبل ، وعندها نبني وننشيء مستقبلاً فيه خلق وابداع[٢٣] .

وفي هذا المعنى يقول الرفيق الدكتور الياس فرح : إن (العودة الى الماضي تكون في نفس الوقت الذي نتجه فيه الى المستقبل ، فتكون اقدامنا ثابتة على ارض الواقع ، وصاعدة مع حركة التطور الاصيل ، والماضي الذي بهذا المعنى لا يكون مشروعاً ومبدعاً الا من خلال مواقع ثورية)[٢٤] .

اما السر في ذلك ، فكما قال القائد المؤسس : (الماضي كان ـ إبداعاً ـ برز العرب فيه وجودهم كأمة حضارية. ولا ننسى ان حضارة العرب في القديم لم تكن ممكنة ، وما كانت لتتحقق لو لا تلك الفترة النضالية التي لم تتجاوز عشرات السنين ولكنها كانت هي الخميرة الروحية التي سمحت للعرب فيما بعد ان يحتفظوا بقوة الابداع ، وبقوة الخلق)[٢٥] .

وفي اطار مرحلة الالتقاء بالتراث من جديد ، يقول السيد الرئيس القائد صدام حسين : (ان الاهتمام بالتراث والتاريخ مسالة جوهرية واساسية في نظرة حزبنا ، اذ ان بناء حاضر جدي ومزدهر يستدعي الاهتمام بالماضي ، دراسة واستشهاداً ، واعتزازاً بجوانبه المشرقة ، لان الحاضر والمستقبل المزدهر انما هو امتداد للماضي في جانب مهم منه ، ذلك الذي يعبر عن اصالة وخصوصية تجربتنا وشعبنا)[٢٦] .

الخاتمة

نستخلص من دراستنا عن (التراث) في فكر القائد المؤسس احمد ميشيل عفلق (رحمه الله) جملة حقائق :

١ ـ ان صلة الامة العربية بالتراث هي صلة حتمية ، وبدهي ان الامة التي تمتلك تراثاً ضخماً ـ كالامة العربية ـ هي امة عريقة ، اي انها امة ذات ممارسات حضارية وثقافية متميزة .

٢ ـ ان التراث هو الارضية الفعلية للاصالة القومية ، التي تعني التجدد والانفتاح على ثقافات الامم الاخرى دون الانبهار بها او اعتمادها كلياً ، وعندما تأخذ الامة من تراث الامم الاخرى ، فإنما تأخذ ما يتماشى وطبيعتها وبيئتها .

٣ ـ تأكيد التجديد في نظر « البعث » لا يجوز ان ينفصل عن التراث ، لان الانفصال يؤدي الى الفصام في النفس والذات العربية . وينبغي ان نكون اوفياء لتراث امتنا العريقة .

٤ ـ النظرة البعثية الى التراث هي نظرة نهضوية ، اي انها تتفاعل مع التراث وتستلهم قيمه المشرقة ، لتضعها في خدمة الامة وتطلعاتها نحو التحرر والانعتاق من براثن الاعداء المستعمرين .

٥ ـ البعث يستلهم التراث بوعي لخدمة الامة ، ويجنده في الدفاع عن نهضتها المعاصرة ، ويجعل منه عامل شحذ للهمم والطاقات من اجل الارتقاء بحاضر الامة نحو الافضل وبناء مستقبلها نحو الاحسن .

٦ ـ ان مواجهة الخلل في المجتمع العربي ، تتطلب معرفة التراث معرفةً عميقة ، لمواجهة الحاضر والمستقبل والتصدي للقوى الشريرة التي لا تريد للامة ان تنهض ، وان تبقى دائماً في فاصلة التخلف .

٧ ـ ان بناء المجتمع العربي بناء حضارياً اصيلاً ومعاصراً ، يشترط وعياً اصيلاً للتراث الحضاري ، وفهماً علمياً للحضارة المعاصرة ، بكل ما تعني هذه الكلمة (الحضارة) من معنى ، اي على كل ما ينشئه الانسان في كل ما يتصل بجوانب حياته المختلفة ، عقلاً وروحاً وديناً ومادة .

٨ ـ ان وعي التراث ، او الوعي بالتراث ، شرط اساس من شروط تكوين الفكر العربي النهضوي المعاصر ، واساس راسخ لبناء قاعدة علمية للتخطيط الستراتيجي بالنسبة للنضال القومي ، لان تراثنا غني بالدروس والعبر ، مثلما هو عامل محفز للهمم .

٩ ـ ان وعي الامة لتراثها وحضارة العصر ، يساعدها على رفض التبعية الفكرية او الانغلاق الفكري . كما يساعدها على اختزال الزمن الفاصل بين واقع الامة وحضارة العصر بصيغة الفعل النهضوي الحاسم ، وليس بصيغة الاصلاح التدريجي البطيء .

١٠ ـ البعث ، لا يفهم التراث على انه اطلال تزار وترثى أو يتغزل بها المتغزلون من الشعراء ، بل ان فهمه يتأتى من انه تعبير عن اصالة الامة وتجددها ، وهو الذي يعطيها شعوراً بوحدتها ، ويزرع الطموح بين جنباتها نحو تجديد رسالتها الانسانية والحضارية ، ويعزز صمودها ، ويعطي لحركة البعث مستواها العالمي .

فالتراث ، إذن ، في مفهوم القائد المؤسس : ليس شيئاً حصل في الماضي وانتهى ، بل إن الرأي الاخير فيه متوقف على استمراريته في الحاضر ، ومدى فعله في هذا الحاضر وتفاعله معه .

والنظرة الى التراث لابد ان تمر عبر الحاضر ، والحاضر الضعيف يسيء الى التراث العظيم ، ويلقي عليه ظلالاً وشكوكاً ، بل يسيء اليه ، حتى عندما يستتبع هزال الحاضر مبالغة في تعظيم التراث ، لان في هذه المبالغة تشويهاً للعظمة الحقيقية ،

وإقصاء له عن جو الحياة الانسانية الى ما يشبه التحنيط .

١١ ـ إن النظرة الحية الى التراث لا يمكن ان تنفصل عن الحرية ، لان الفهم العميق له يوصل الى هذه الحقيقة ، فالتراث العظيم ينبع دائماً من الحرية بأعمق معانيها ، وان استلهامه في الحاضر ، يكون باستلهام هذا المنبع ، اي روح الحرية ، والوفاء له يكون بتجديده لا بتكراره ، وبالانطلاق منه في جهد حر عفوي صادق لبناء عمل ضمن معطيات العصر ، لا يشبه التراث الا بالروح والاصالة .

بكلمة اخيرة : التراث في نظر القائد المؤسس احمد ميشيل عفلق (اصالة عربية وعقل ثوري)[٣٧] .

الاحالات :

(١) مكتب الثقافة والاعلام ـ القيادة القومية : تعريفات ببعض المصطلحات .
دار الحرية للطباعة ـ بغداد ـ ص ٢٣ .
(٢) القائد المؤسس (احمد ميشيل عفلق) : البعث والتراث . الطبعة الاولى ـ تموز ـ ١٩٧٦ ـ ص ٩١ .
(٣) د . محمد عمارة : نظرة جديدة الى التراث ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت ص ٥ و ٦ و ٩ .
(٤) القائد المؤسس (احمد ميشيل عفلق) : التراث في نظر الحزب . مقال في (الثورة العربية) جريدة حزب البعث العربي الاشتراكي الداخلية ـ العدد السابع ـ تموز ١٩٨١ ص ١٣ .
(٥) المصدر نفسه .
(٦) المصدر نفسه ص ١٣ ـ ١٤ .
(٧) المصدر نفسه ص ١٤ .
(٨) السيد الرئيس القائد صدام حسين : من حديث سيادته في ندوة تراثنا المعماري والعمارة العربية بتاريخ ١٥ ايلول ١٩٨٠ .
(٩) القائد المؤسس : مصدر سبق ذكره ص ١٥ .
(١٠) د . عبد الوهاب الكيالي وكامل الزهيري : الموسوعة السياسية (مادة اممية) ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت / ١٩٧٤ .
(١١) القائد المؤسس : مصدر سبق ذكره ص ١٥ .
(١٢) د . حكمت عبد الكريم فريحات ، وابراهيم الخطيب : مدخل الى تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ص ٣٢ ـ دار الشروق ـ عمان / الاردن ١٩٨٩ .
(١٣) احمد ميشيل عفلق : البعث والتراث ص ١٦ .
(١٤) المصدر نفسه ص ٦ .
(١٥) مكتب الثقافة والاعلام القومي ـ القيادة القومية : البعث اصالة قومية وعقل ثوري . مقال في « الثورة العربية » العدد التاسع / ١٩٧٩ ص ٣٤ و ٣٦ .
(١٦) د . حكمت فريحات وابراهيم الخطيب : مرجع سبق ذكره ص ٣٣ ـ ٣٤ .
(١٧) ماجد السامرائي : التراث منطلقاً للعصر . مجلة (الاقلام) ـ العدد التاسع ـ حزيران ١٩٧٨ ص ٢٠ ـ ٢٤ .
(١٨) البعث والتراث ص ١٩ .
(١٩) ماجد السامرائي : مرجع سبق ذكره .
(٢٠) محمد عامر احمد : البعث والتراث . مجلة « الاقلام » ـ العدد السابع ، نيسان ١٩٧٩ ص ١٤١ .
(٢١) السيد الرئيس القائد صدام حسين : مصدر سبق ذكره .
(٢٢) ماجد السامرائي : الزمن المستعاد . بغداد / ١٩٧٨ ص ٤٠ .
(٢٣) تعريفات ببعض المصطلحات . مرجع سبق ذكره ص ٦٣ ـ ٦٤ .
(٢٤) السيد الرئيس القائد صدام حسين : حول كتابة التاريخ .
(٢٥) البعث والتراث ص ٩١ .
(٢٦) مكتب الثقافة والاعلام ـ القيادة القومية : المنهاج الثقافي المركزي (الكتاب الاول) ١٩٧٥ ص ٤٥ ـ ٤٦ .
(٢٧) القائد المؤسس : التراث في نظر الحزب . مقال في (الثورة العربية) ـ العدد السابع ، تموز ١٩٨١ ص ١٥ ـ ١٦ .
(٢٨) القائد المؤسس : البعث والتراث ص ٢٢ .
(٢٩) المصدر نفسه ص ٤٧ .
(٣٠) المصدر نفسه ص ٥١ .
(٣١) دور الحزب في تكوين الشخصية القيادية . ينظر مقال في (الثورة العربية) العدد الرابع ، ١٩٨٨ ص ٧٨ ـ ٨٠ .
(٣٢) مدخل الى تاريخ الحضارة العربية الاسلامية . مرجع سابق ص ٣١ .
(٣٣) القائد المؤسس : البعث والتراث ص ٥٢ ـ ٥٤ .
(٣٤) د . الياس فرح : من قضايا الثورة والانسان العربي ص ٥٩ ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت / ١٩٧٧ .
(٣٥) القائد المؤسس : في سبيل البعث . (مقال : البعث هو الانقلاب) .
(٣٦) السيد الرئيس القائد صدام حسين : الثورة والتربية الوطنية ص ١٢٣ .
(٣٧) القائد المؤسس : التراث في نظر الحزب : ينظر المقال في (الثورة العربية) ـ العدد السابع / ١٩٨١ ص ١٦ ـ ١٧ .

الرَّجُل التَّاريخي

الأستاذ أحمد ميشيل عفلق

الرَّجُل الذي أعاد لنا الثقة بفكرنا العربي ،

وأصالتنا القومية ، وجدد التفاؤل بمستقبل

الأمة ، ورسم لنا معالم الطريق لتحقيق أهدافها

التاريخية .. هذا الرجل الذي كان حياته خطاً

مستقيماً واضحاً ثابتاً .. والذي احتفظ بإرادة

حديدية وصلابة تاريخية أمام الظروف الصعبة

وبصفاء فكري قل نظيره

الرئيس القائد

صدام حسين